مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 12 عدد: 1، مارس 2023
ص: 445 - 461 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

تحديات اللسانيات العرفانية في حقل تعليمية اللغات - تعليمية الاستعارة التصورية أنموذجا-

The challenges of cognitive linguistique in the field of languages didactics -- didactic of conceptual metaphor as a model --

نعيمة بوسنة[1] / عبد الحميد شكيل[2] *
Naima boucenna[1] / abed alhamid chekil[2]
جامعة باجي مختار عنابة، (الجزائر)،
University of Badji Mokhtar Annaba, (Algeria)
boucennanaima2@gmail.com[1] / .achekil@yahoo.fr [2]

تاريخ الإرسال: 2022/08/03	تاريخ القبول: 2022/12/07	تاريخ النشر: 2023/03/02

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تحري التحديات التي خاضتها اللسانيات العرفانية في حقل تعليمية اللغات، بخاصة تعليمية الاستعارة التصورية التي أظهرت فاعليتها في تجسيد المقولات العرفانية، إذ سيتم تسليط الضوء على الجهود المبذولة والمستحدثة في سبيل تيسير إدراكها، مع عرض للآليات العرفانية المنتهجة في طرائق تعلمها وتعليمها، والتي تركزت أساسا في كشف علاقة الفكر باللغة مع بيان آلية اشتغاله.

وتفضي هذه الدراسة إلى أن الجهود المبذولة أحدثت نقلة نوعية في حقل تعليمية اللغات،إذ دحضت التصور الكلاسيكي للاستعارة، وأسست لطرح تجريبي جديد لاقى استقطابا واسعا بفضل نجاعة آلياته المبتكرة، أساسه عد الاستعارة أصل كل تفكير تدرك به المعاني وتبنى به الأنساق، بل وتبلغ به المقاصد؛كونها جد لصيقة بحياة الأفراد في جانبيها الواعي واللاوعي ومترجمة لها، ومركزا أساسا لعمل الدماغ وأداته.

الكلمات المفتاح : لغة ، فكر، لسانيات عرفانية، تعليمية لغات، استعارة تصورية.

Abstract :

This study aims to investigate the challenges faced by cognitive linguistics in the field of teaching languages, especially the teaching of conceptual metaphor. Indeed, the latter showed its effectiveness in embodying the cognitive sayings. This study will highlight the efforts made and developed in order to facilitate its awareness, with a presentation of the cognitive mechanisms used in the methods of learning and teaching, which focused mainly on revealing the relationship of thought to language with an explanation of the mechanism of its operation.

This study leads to the fact that the efforts made have brought about a qualitative leap in the field of teaching languages, as they refuted the classic conception of metaphor,

* نعيمة بوسنة: boucennanaima2@gmail.com

and established a new experimental proposal that was widely polarized thanks to the efficacy of its innovative mechanisms. It is very closely related to the lives of individuals in its conscious and unconscious sides, and translated into it.

Keywords: languag , Thought, linguistique cognitive, Teaching languages, conceptual metaphor.

المقدمة :

وآكب ظهور اللسانيات العرفانية جهودا حثيثة لعدد من اللسانيين الذين وحدتهم الرؤى والأهداف على اختلاف تخصصاتهم؛ إذ رأوا قصور مقاربات عدة في تفسير تساؤلات يثيرها الفكر البشري بين الفينة والأخرى، فأسهموا في تحويل تصوراتنا إلى أسئلة أسست دعائم رؤية جديدة تحكم علاقة الفكر باللغة وتبين آلية عمله. ولأن تعليمية اللغات وبخاصة تعليمية الاستعارة كانت من صلب اهتمامات اللسانيات العرفانية وتبحث عن حلول جذرية لمشكلاتها، فقد غيرت آليات إدراكنا وتعلمنا لها؛ بل وجعلتنا بها نحيا ونعيش واسمة إياها بالاستعارة التصورية؛ من منطلق كونها وليدة حقل بيني جعل منها آلية عرفانية جد لصيقة بحياة الأفراد؛ تعبر عن تناغم وتمازج حاصل بين تجارب سابقة وتفكير ذهني تصوري خاضع لنسق تصوري معين، لا يخرج عن ما هو مألوف ومتداول،كما تسمح لنا بتمثل العالم وفهمه، وكذا التفاعل مع مختلف تجاربه المادية منها والثقافية، إذ أنها ناتجة عن الربط الحاصل وفق شروط الإسقاط المفهومي وآلياته بين مجالين، يدعى أحدهما المجال المصدر ويدعى الآخر المجال الهدف، وعليه تتلخص أهم إشكالات بحثنا في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما التحديات التي خاضتها اللسانيات العرفانية في حقل تعليمية اللغات؟ وما جملة البدائل والطرائق التي قدمتها في تعليمية الاستعارة التصورية ؟ وهل أبانت هذه الطرائق عن فاعليتها في تيسير سبل تعليمها وتعلمها؟

ولحل هذه الإشكالية سنشغل أنفسنا بدراسة بعض القضايا الأساسية من مثل: مفهوم اللسانيات العرفانية، ووظائفها في حقل تعليمية اللغات، وكذا مفهوم الاستعارة التصورية، مع بيان أنواعها وطرائق تعلمها وتعليمها وفق المنظور العرفاني، وذلك بغية الإفصاح عن الطرائق البديلة التي قدمتها اللسانيات العرفانية لتيسير سبل إدراكها.

أولا- اللسانيات العرفانية linguistique cognitive :

تعد اللسانيات العرفانية حقلا معرفيا جديدا مبتكرا نسبيا وسريع التطور في اللسانيات المعاصرة ، قوامه تضافر التخصصات إذ له صلة وثيقة بـ "الإطار الإبستمولوجي الذي شكله انبثاق العلوم العرفانية cognitive sciences في منتصف خمسينيات القرن العشرين ، عندما بدأ باحثون ينتمون إلى عدة حقول علمية في تطوير نظريات عن العقل مبنية على إجراءات تمثيلية وحاسوبية مركبة استطاعوا من خلالها الإقلاع بعيدا عن مقاربات دوسوسير وبلومفيلد اللسانية ومقاربات فريد السيكولوجية"[1].

هذه العلوم التي جمعت كلا من اللسانيات والفلسفة وعلم الأعصاب وعلم النفس والذكاء الاصطناعي والحاسوبية ...وغيرها في بوتقة علمية واحدة أصبحت تعرف بما يسمى بـ: العلوم العرفانية، والتي تُعرّف بكونها "علوما للكفاءة المعرفية la compétence cognitive تهتم أساسا بتكوين المعرفة وإنتاجها وتنظيم المعلومات الرمزية ومعالجتها، وإن كانت تنعت في الوقت الحالي بتسميات متعددة (علوم الأنظمة الحاسوب، والتفكير والنسقية...)؛ والشيء الذي يكون وحدتها هي كونها تعتبر أن الآداءات المعرفية les performances cognitive لمختلف الأنظمة الطبيعية (سيكولوجيا، لسانيات، سوسيولوجيا، اقتصاد، علوم الأعصاب) والأنظمة الاصطناعية (إلكترونيات، معلوميات، ذكاء اصطناعي، إنسانية آلية la robotique) تحيل جميعها على البنية المعرفية المتمثلة في معرفة افتراضية فعلية وتشترك في كونها تعمل على فهم المشكلات وحلها واتخاذ قرارات بشأنها"[2].إنها تخصصات تشترك جميعا في كونها تستهدف الكشف عن آلية اشتغال الذهن البشري في إنتاجه للمعرفة باعتباره حاملا عصبيا لجهاز الذكاء الإنساني من جهة، وكون جل العمليات الفكرية صادرة عنه من جهة أخرى، فتنشد أجوبة دقيقة واضحة عن أسئلة من مثل: "ما هو العقل؟ كيف نعطي لتجربتنا معنى؟ ما هو النظام المفهومي وكيف ينتظم؟ هل يستعمل جميع البشر النظام المفهومي نفسه ؟ وإن كان الأمر كذلك فما هو هذا النظام ؟ وإن لم يكن كذلك، ما هو بالتحديد ذاك الشيء المشترك بين بني البشر جميعهم في ما به يفكرون ؟ فالأسئلة ليست جديدة ولكن بعض الأجوبة جديد "[3]. ما يعني أن هذا العلم ليس وليد العصر بل هو نتيجة لتراكمات علمية سابقة أخذ منها ما أخذ وعدل منها ما عدل تماشيا والتطورات العلمية الجديدة، مع التخلي عن الخاطئ المبتذل بغية ضبط العلاقة بين العقل واللغة البشرية بجميع تمظهراتها، وكذا النظر في تفاعلها مع العالم ببيئاته المختلفة سواء الاجتماعية والمادية والنفسية والتعليمية ...وغيرها. من دون المساس بسلطة الفرد البشري في تنظيم كيانه.

واللسانيات العرفانية تضطلع أيضا بمهمة دراسة النشاط الإدراكي للكائن البشري لجل الموجودات حوله بكل عفوية وتلقائية، باستغلال أحدث ما توصلت إليه التقنيات العلمية المعاصرة بخاصة الحاسوبية والذكاء الاصطناعي، مع التخلي عن الفكرة التي كانت سائدة قديما والقائلة بمركزية التركيب وأوليته في صناعة المعاني وتبليغها وأكدوا على أنه لا يعتمد على مفهوم مركزية التركيب الإعرابي في الربط بين اللفظ والمعنى، بل تقوم على اعتبار الدلالة، أو التصورات والعمليات الذهنية أساس الأبنية اللفظية سواء أكانت صوتية أو صرفية معجمية أم كانت إعرابية أو تداولية، فكل هذه التصورات الذهنية تعد حسبهم مظاهر أو جوانب متصل بعضها ببعض تخدم كلها الغاية نفسها، وتسهم في صياغة المعنى وتشكله وهي متلاحمة متآزرة لأنها تمثل مستويات يصعب ضبط الحدود الفاصلة بينها وتحديد مدى مساهمة كل منها في تكوين المعنى، لقد تبين لهم أنها مستويات تكون مسترسلا un Continuum، وهذا ما دعاهم إلى الدفاع عن وصف إجمالي للمعنى Une description holiste، والتخلي عن الوصف التفصيلي La description componentielle[4]. وعليه فإجراءاتها المنهجية قامت بعدم الاكتفاء بالشكل، ورفضت الفصل التعسفي بين مستوياتها من صوت وصرف وتركيب

ودلالة، فتحققها باجتماعها ولا يمكن أن يستغني الواحد منها عن الآخر كالوجهين للعملة الواحدة يقتضي أحدهما حضور وتحقق الآخر وإلا ضاعت المعاني وفسدت.

وقد امتد البحث إلى إدراج اللفظ في مجازيته واستعاريته في صلب البحث اللساني المعاصر بعدما كانت العناية منصبة على اللفظ في حقيقته اللغوية فقط، على اعتبار أن المجاز والاستعارة يقولبان فكر الإنسان وشعوره ويحددان رؤيته للناس والحياة والأحياء من منطلق قدرتهما على حمل صور الأشياء بديلا عن استحضارها أمام مرآة العين؛ إذ أن المعاني تدور في ذهن الإنسان وتجول في خاطره ثم بعد ذلك يلبسها من الألفاظ ما يعينه على نقل أفكاره إلى الآخرين من أقصر طريق وأخصره، مع علمه بمحدودية الألفاظ على نقل ما يدور في ذهنه فيستعرض عنها بصور مأخوذة من الواقع تكون مساعدة له على تقريب ما في نفسه لضرورات الفن والجمال أو لضرورات اجتماعية أو سياسية [5]، ما يعني بأن ملفوظات الفرد البشري كلها استعارية بالأساس وتخضع لضوابط منهجية ومقننة تحدد تصنيفاتها، كما توضع تلبية لحاجات الإنسان المختلفة .

وعليه يمكننا القول بأن اللسانيات العرفانية حقل معرفي نما بوتيرة سريعة جدا سواء ما تعلق بإشكالاتها ومبادئها العلمية أو حقلها الجغرافي مستفيدة من التطور العلمي الحاصل في جل العلوم، وكذا تضافر تخصصاتها محدثة بذلك أثرا بالغا، ومنعرجا حاسما في سير الدراسات اللسانية وهي لا تزال كذلك، ولم تتوقف أبحاثها ومستجداتها إلى يومنا.

ثانيا- تعليمية الاستعارة التصورية من منظور اللسانيات العرفانية :

حري بنا قبل الخوض في دراسة تعليمية الاستعارة التصورية من منظور اللسانيات العرفانية أن نتعرض أولا بشيء يسير من الشرح الذي يخدم موضوعنا للسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات .

1- اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات:

يعد علم اللغة التطبيقي [6] أو ما يسمى باللسانيات التطبيقية على حد تعبير صالح بلعيد، "حقل من حقول اللسانيات ظهر سنة 1946؛ في الوقت الذي ظهر الاهتمام بمشاكل تعليم اللغات الحية للأجانب إلى جانب ازدهار الدراسات التطبيقية، أو نظرية علمية يتم تمثلها عن طريق تطبيق ما هو في الإمكان، وذلك بتكوين المادة عن طريق الأنماط وترسيخ المفاهيم التي يتم فيها نقل النتائج والنظرية إلى مستوى تطبيقي يدرس اللغة بغرض الحصول على طبيعتها في ذاتها، ومن أجل ذاتها، ويسعى دائما إلى عمل علمي هادف وهو الكشف عن جوانب اللغة والمعرفة الواعية بها للتمكن من الأداء اللغوي الجيد " [7]. إنه يكرس نفسه خدمة للمتعلم بتبسيط طرق حصوله للمعرفة وأدائها لغويا في جانب تطبيقي بعيدا عن التنظير المعقد الذي لا يتسنى إدراكه وتطبيقه للجميع، خاصة وأنه يتطلب معرفة وإلماما بآخر ما توصلت إليه مختلف العلوم على اعتبار أن علم اللغة التطبيقي " متعدد الجوانب يستثمر نتائج علوم أخرى كثيرة تتصل باللغة من جهة ما، لأنه يدرك أن تعليم اللغة يخضع لعوامل كثيرة: لغوية، ونفسية، واجتماعية، وتربوية " [8]. تسهم كلها وباجتماعها في تحقيق غاياته التعليمية النبيلة والتي جعلت منه أيضا" مجالا مرتبطا بتدريس اللغات ومن أهم خصائصه البراجماتية والانتقائية،

والفاعلية، ودراسة التداخلات بين اللغات الأم واللغات الأجنبية " [9]؛ وتعد هذه الخصائص ترجمة لبحثه عن المنفعة التي لابد وأن تتحقق في أثناء التعلم لدى المتعلم تلبية لحاجاته اللغوية وتكون بانتقاء الأنسب والأكثر فاعلية، مع العناية بكشف مواضع التداخل والاختلاف في مواطن الاحتكاك اللغوي التي عادة ما تكون غير متجانسة ومنسجمة فيما بينها لغويا.

في حين تعد تعليمية اللغات حقلا معرفيا حديث النشأة اقترن ظهوره بحقل اللسانيات التطبيقية، بل أحد أهم انشغالاتها إذ تُعنى تعليمية اللغات "بالاهتمام بأهم انشغالات الفعل التربوي بالإجابة عن: ماذا نعلم ؟ وكيف نتعلم ؟ "[10]، ومن ثمة فإن تعليمية اللغات، بوصفها وسيلة إجرائية لتنمية قدرات المتعلم قصد اكتساب المهارات اللغوية واستعمالها بكيفية وظيفية تقتضي الإفادة المتواصلة من التجارب والخبرات العلمية التي لها صلة مباشرة وملازمة في ذاتها بالجوانب الفكرية والعضوية والنفسية والاجتماعية للأداء الفعلي للكلام عند الإنسان"[11].

وعليه فإن تعليمية اللغات تقوم على تضافر التخصصات كيف لا وهي وليدة اهتمامات اللسانيات التطبيقية فتستقي من كل علم ما يخدم مطالبها، ثم تعمل على الجمع بين كل الحقول المعرفية لتكون لنفسها ميدانا فسيحا يخدم غايتها الأولى والمتمثلة في تعليم اللغة وتعلمها، لذلك لا نعجب إذا وجدنا تقاطعا بين معطيات كل من اللسانيات العامة، وعلم النفس اللغوي، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، وعلوم الاتصال والحاسوبية، وكذا اللسانيات العرفانية...وغيرها كثير ونحن بصدد دراسة حقل تعليمية اللغات، فهدف هذه العلوم واحد ألا وهو خدمة الكائن البشري وتيسير سبل تعلمه وإن تعددت سبل وطرائق التعامل مع أقطاب العملية التعليمية .

2- تعليمية الاستعارة التصورية : Conceptual metaphor :

يجرنا الحديث عن تعليمية الاستعارة التصورية إلى بيان جوهر الخلاف الذي انبنى بموجبه هذا التصور الجديد للاستعارة –لصاحبيه جورج لايكوف (George Lakoff) ومارك جونسون(Mark Johnson)- مع التخلي عن التصور التقليدي لها، إذ غير من مفهومنا وتصوراتنا حول إدراك العالم وإنتاج المعرفة في جل الميادين وليس فهم وإنتاج الاستعارة فقط، فقد كانت الاستعارة تمثل بالنسبة لعدد كبير من الناس أمرا مرتبطا بالخيال الشعري والزخرف البلاغي، إنها تتعلق في نظرهم بالاستعمالات اللغوية غير العادية وليس بالاستعمالات العادية، وهي خاصية لغوية تنصب على الألفاظ وليس على التفكير أو الأنشطة، وبالإمكان الاستغناء عنها دون جهد كبير. وعلى العكس من ذلك فقد انتبهنا إلى أن الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية، إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا. إن النسق التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس[12].

وعليه فمن الواضح حينئذ تعارض ثوابث الفكر العرفاني مع الثوابت الموضوعية التي انبنى عليها الفكر البشري والتي عرفها منذ القديم واستمدها من التصور الموضوعي الكلاسيكي الأرسطي والمتمثلة في كون:[13]

- العالم الخارجي عبارة عن موضوعات ذات خصائص مميزة مستقلة عن الكائن البشري وذهنه وعن باقي الكائنات.
- المعرفة التي نتحصل عليها بخصوص الموضوعات ناتجة عن احتكاكنا بها.

– يدخل هذا الموضوع ضمن هذه المقولة أو تلك إذا اشترك مع باقي موضوعاتها في السمات المخصصة.

– دور الذهن البشري أن يعكس عناصر الطبيعة، فالذهن مرآة للطبيعة.

وقد دحض "لايكوف وجونسون" من خلال كتابيهما "الاستعارات التي نحيا بها " هذه الثوابت الموضوعية محدثين نقلة نوعية فبعد أن رفض العالمان إقصاء دور ذهن الإنسان وجسده وعزلهما عن باقي عناصر العالم الخارجي، وأيضا إقصاء فاعلية الجسد والخيال والثقافة في تنظيم العالم، اقترحا تصورا بديلا لتلافي النقائص التي تحكم في الفكر الغربي زمنا طويلا أطلقا عليه مصطلح المقاربة التجريبية [14]. (المستمدة من بعض أفكار النظرية الجشطلتية)؛ فالعالم الخارجي في نظرهما لا يتم تنظيمه وتصنيفه بطريقة موضوعية يستقل فيها الشيء عن الجسد والذهن، بل بطريقة مغايرة تنتج عن تفاعل التجربة الإنسانية الفيزيائية مع عناصر العالم الخارجي. إن التجربة الإنسانية (إدراك الأشياء والأنشطة الحركية والثقافة) ذات وظيفة مركزية في تنظيم العالم ومقولته، كما أن خيالنا الذهني الذي يتألف من الروابط الاستعارية والكنائية مركزي في هذه العملية أيضا. وعليه فإن الذهن جسدي بشكل أساس[15]، وتعد اللغة وعاءه ووسيلته إنها من منظور التصوري العرفاني الدلالي ملكته العرفانية غير المحدودة، والناتجة عن توظيف المعرفة الحاصلة بموجب تفاعل كل من البيئي والثقافي والجسدي، مع ما تمليه الفضاءات الذهنية من تصورات في إدراكنا لجل المظاهر اللسانية ومقولتها.

وهذا التصور العرفاني تجريبي، إذ تفيد "التجربة" فيه "بالإضافة إلى أساسها الحسي الإدراكي والحركي الجسدي، كل ما يمثل تجربة فعلية أو ممكنة، فردية كانت أو جماعية، فقوام التجربة طبيعة الجسد من حيث تكونه وراثة واكتسابا ومن حيث أدوات التفاعل التي له بمحيطه الذي يعيش فيه، فالفكر مجسدن بمعنى أن الأنظمة المفهومية عند البشر تنشأ وتتبلور وتكتمل بناء على تجربة الفرد الجسدية في العالم، وقلب هذا النظام المفهومي متجذر في الإدراك وحركات الجسد في محيطه وفي جميع التجارب أو التفاعلات الاجتماعية والمادية، إنه ذو أرضية إدراكية جسدية وتخيلي قائم على التخيل والتصوير بواسطة المجاز والاستعارة وما إليهما؛ فما لم يكن ذا أرضية جسدية من المفاهيم، يستعمل هذه الأدوات التي لا يكون فيها انعكاس الواقع انعكاسا حرفيا أو تمثيله تمثيلا مطابقا له في الخارج، وله خصائص جشطلتية وليس ذريا، فللمفاهيم أبنية شاملة عامة تتجاوز مجموع المكونات الجزئية فيها ويكون للمفاهيم بنية مرتبطة بالمحيط والبيئة بمعنى أنها ليست مجرد أبنية رمزية يشتغل عليها الذهن منقطعة عن مجال العيش والتجربة "[16].

فيتبين لنا إذن بأن هذا التصور يتعارض فلسفيا مع التصورات الموضوعية التي تعتقد في وجود حقيقة خارجية موضوعية صرفة يمكن فصلها عن الذات المدركة، إذ الحقيقة وفق هذا التصور لا تعدو أن تكون

مجموعة حية من الاستعارات والتشبيهات والمجازات، وهو ما يتعارض مع التصور البلاغي التقليدي الذي يعد التعبير الحقيقي أصلا والاستعارة والمجاز فرعا عنه"[17]؛ فالفصل بين الحقيقة والمجاز - من منطلق كون الأولى ناتجة عن الموضوعية وتم التواضع والاتفاق عليها مع تحديد مواطن نجاعتها، وأن الثاني عدول وانحراف عن الحقيقة بغية إنتاج معنى دلالي يتوافق مع سياق لغوي جديد اقتضته ضرورة معينة -يعد من بين أهم نقاط الاختلاف بين التصورين التقليدي والعرفاني.

2-1- الاستعارة التصورية :المفهوم والوظيفة:

يصرح صاحبا التصور العرفاني للاستعارة بأن مفهومها يتمحور حول كونها "هي الأصل، إذ لا توجد طريقة أخرى سابقة لها في تسمية الأشياء لغويا، وبذلك فهي لم تعد اختيارا واعيا للمتكلم البليغ يسعى من خلالها إلى تزويق قوله وإكسابه مزية، وإنما هي ركن أساسي في كيفية مقولتنا للعالم وتمثلنا له تصوريا وتفاعلنا معه في تجربتنا المادية والثقافية، وهي في مجملها عمليات ذهنية لا واعية"[18]؛ إنها فكرية ترتبط بنسقنا التصوري، إذ لولاها لما استطعنا تنظيم العالم واحتواءه، فلا توجد طريقة للحديث عن الزمان سوى إسقاط بنية المكان عليه، ولا يمكن الحديث عن المجردات، من حب وغضب وغيرهما إلا اعتمادا على مجالات فيزيائية أخرى ومادام نسقنا التصوري استعاري بطبيعته، فإن الاستعارة ليست شعرية بلاغية تجميلية، إنها بالدرجة الأولى ملازمة لحياتنا اليومية لا نكاد ندركها في كثير من الأحيان، وبالتالي لا يمكن الحديث عن انزياح اللغة الاستعارية عن اللغة العادية. فالعادة هي الاستعارة لا غيرها، وأنها لا تقوم على المشابهة بقدر ما تقوم على عملية الربط (mapping)، تقوم الروابط بعملية اختراقية بين مجالين أحدهما هدف والآخر مصدر؛ أي بنينة مجال هدف استنادا إلى بنية مجال مصدر[19].

وبذلك أضحت الاستعارة تتبوأ مكانة عظيمة مع أفكار جورج لايكوف (Georg Lakoff) ومارك جونسون(Mark Johnson) في رحاب اللسانيات العرفانية خاصة بعدما أعلنت تحررها من ميزة الانحراف الدلالي التي لازمتها قرونا عديدة وجعلتها حبيسة النصوص الأدبية وأغراضها البلاغية؛ إذ ركزت اهتماماتها على بحث آليات إنتاج الدلالة وإدراكها لتحقيق تواصل لغوي ناجح في أي مقام تواصلي كان، وذلك بعد مرورها بسلسلة من العمليات العقلية على مستوى الذهن البشري والتي تختلف بحسب القدرات والمهارات العقلية المتوفرة لدى كل فرد بشري من قبيل الفهم والانتباه والتبصر والتذكر والإدراك ..إلخ، مع ضرورة تلاحم كل المستويات اللسانية صوتية كانت أو صرفية أو إعرابية أو تداولية باعتبارها أساس إنتاج الأبنية والقوالب اللفظية هذه الأخيرة التي تكرس خدمة لبناء المعاني وإنتاجها، وكذا إدراكها بعيدا عن سطوة التركيب التي تحد من استقلالية الفرد وحريته؛ إنها ببساطة تسعى إلى إدراك العالم وفهم تجلياته المتنوعة من جهة وإلى تمثيل التجربة الإنسانية وإنجاز العمليات الذهنية المعبرة عنها من جهة أخرى.

تعد الاستعارة التصورية إذن وكما عبر عنها الأزهر الزناد في التصور العرفاني "ظاهرة مركزية غالبة في دلالة الكلام العادي اليومي وهي جزء من الفكر من حيث مثلت أداة في تصوير العالم والأشياء وتمثلها في

جميع مظاهرها، فهي جزء من النظام العرفاني ولذلك سمت بالاستعارة المفهومية؛ إذ كانت الاستعارة أداة مَفهمَة وتمثيل وتصور يعم كل مظاهر الفكر بما في ذلك المفاهيم المجردة والمتصلة بالمجالات الأساسية من قبيل الزمن والأوضاع والمكان والعلاقات والأحداث والتغيير والجعل وما إليها، ويجرّ هذا التحول تغييرا في مصطلح الاستعارة إجراء ومفهوما: فالاستعارة إسقاط عابر للمجالات في النظام المفهومي، وما العبارة الاستعارية إلا تحقق سطحي لتلك العمليات التي يجري بها الإسقاط المفهومي في الذهن[20].

ضف إلى ذلك فإنه"يثبت أن المبدأ العام المسير لها لا يكمن في طبيعة النحو والمعجم وإنما مكمنه في النظام المفهومي الكامن في أذهان المتكلّمين، وقوام هذا المبدإ أننا نمثل مجالا ما على أساس مجال آخر بتوسط علاقات الإسقاط المفهومي الذي يؤخذ في مظهره الرياضيّ – تقنيا – من حيث هو جملة التناسبات التي تقوم بين المجالين عنصرا بعنصر أو مكونا بمكون، بجعل لايكوف؛ ذلك في ما يسميه إسقاط المعارف المتعلقة بالمجال المصدر على المعارف المتعلقة بالمجال الهدف، فتكون التناسبات إبستيمية ومكمن الاستعارة في تلك التناسبات، وقد يكون المجالان متباعدين مختلفين لا رابط بينهما في التصور المطلق ويمثل المجال الأول مجالا مصدرا والآخر مجالا هدفا[21]. على أن الإسقاط المفهومي قائم "من حيث مفهومه ومبادئه وأنواعه في عدد من النقاط هي: الإسقاط قوالب من التناسبات الأنطولوجية، وهو كائن ما بين المستويات العليا في المقولات، يحكمه مبدأ الثبات الذي ينص على أن الإسقاط ما بين المجالات يحافظ على الأبعاد الطوبولوجية، وعلى أن الغلبة للمجال الهدف، والإسقاط مفرد ومتعدد تزامني محكوم بسلميات الإرث"[22].

كما يعد التفكير الاستعاري (أو التفكير بواسطة الاستعارة) بحسب اللسانيات العرفانية" ليس جيدا ولا سيئا في ذاته، إنه ببساطة شيء مألوف واعتيادي ولا محيد عنه. فالمجردات والأوضاع المعقدة أو الملتبسة تفهم عادة بواسطة الاستعارة، والحق أن هناك نسقا استعاريا هائلا وغير واع في الغالب، نستعمله على نحو آلي و"طائش" لفهم الأشياء المعقدة والمجردة[23]؛ إنه تصوير للشخوص والأشياء والعوالم والأحداث، بل تصوير لكل الحيثيات التي يعيشها الكائن البشري ويُعمل عقله من أجل ضبطها وفهم المعقد منها محاولا في الوقت نفسه إنتاج معنى ودلالة لها بعفوية وتلقائية، بقصد منه أو بغير قصد مستدعيا مهاراته العقلية التي يكيفها بحسب الحاجة والضرورة التي تتيح له إمكانية إخراجها إلى حيز الوجود والتحقق اللغوي، ما يجعل من الاستعارة شيئا فطريا عند الإنسان وخاصية من خصائص تفكيره التي يستمدها من ذهنه؛ فكأننا هنا نتحدث عن جهاز حاسوب يتلقى أوامر معينة فيستدعي في سبيل تنفيذها جل البرامج المعدة فيه قبلا لذلك الغرض فيختار البيانات والمعلومات المخزنة في قاعدة بياناته والتي تتلائم مع الطلب، و يمررها على سلسلة من البرامج التي تضبطها، ومن ثمة يخرجها كمعلومة قابلة للإدراك والأخذ. هذا هو ما تقر به معظم الأبحاث الحديثة في جل العلوم العرفانية كمثل اللسانيات العرفانية هذه الأخيرة وفي رصدها للعلاقة بين البنية اللسانية والبنية الذهنية الإدراكية تؤكد على " دور الذهن والفكر في صياغة دلالات الألفاظ والكلمات وتحكمه في اختيار الإنسان للوحدات اللغوية، وتعتمد إتقان الإنسان لهذا الاختيار بمقدار إدراكه لواقعه الطبيعي ومهارته في استخدام اللغة

التي يمتلكها"[24]؛ فدلالات الألفاظ بهذا تجسيد لما في ذهن الإنسان من معانٍ وتصورات ليس إلا، إذ يحسن الإنسان تخيرها، ومن ثمة صياغتها في قوالب لغوية بحسب ما تمليه عليه مهارته اللغوية وإدراكه للمجودات والحقائق حوله؛ وهو ما يعني استحالة إدراك المعنى خارج التصورات والفضاءات التي يمليها الذهن والتي تجعل من معرفتنا تصورية استعارية بالأساس.

وعليه فالاستعارة التصورية "(Conceptual Metaphor Theory) تعد آلية عرفانية بها ندرك ذواتنا ونتمثل العالم من حولنا ونفهم أكثر مفاهيمنا تجريدا، ومثلما تتجلى في اللغة يمكن أن تتجلى في سلوكنا وأعمالنا الرمزية وفي تعبيراتنا وفي الأنظمة العلامية المختلفة التي ابتدعها الإنسان، وقد أضحت أسًا عليه يقوم المعنى والخيال والفكر، تحكم تفكير البدائي كما المعاصر، البدوي كما الحضري، والطفل كما الشيخ، إنها مرتبطة بهويتنا نحن البشر، فهي التفكير عينه في جزء كبير منه. لذلك فهي مندسة في كل تفاصيل حياتنا في كلامنا العفوي كما في أكثر نظرياتنا تجريدا في كلام العامة كما في كلام الأدباء والساسة ورجال الدين والرياضيين والمنظرين، إنها ما به نفكر وما به نحيا[25].

2-2- أنواع الاستعارة التصورية و كيفية اشتغالها في تعليمية اللغات:

يميز كل جورج لايكوف (Georg Lakoff) ومارك جونسون(Mark Johnson) بين ثلاثة أنواع من الاستعارات التصورية في كتابهما " الاستعارات التي نحيا بها "، ويبينان سبل اشتغالها وتعلمها وهي كالآتي :

أ- الاستعارة البنيوية (structural metaphor):

تعرف الاستعارة البنيوية بأنها نتاج عمل ذهني يشترط في تحققه " أن يُبْنَيْن تصور ما استعاريا بواسطة تصور آخر"[26]؛ إذ تتيح لنا إمكانية إقامة تصور استعاري لشيء معين اعتمادا على شيء آخر نفهمه بيسر أكبر وسرعة فائقة، وذلك من منطلق كونها تحكم كثيرا من تصوراتنا اليومية وتجاربنا الحياتية المقنن منها والعفوي، وحتى الساذج منها واللاوعي، إنها – الاستعارة البنوية –"تتأسس شأنها شأن الاستعارات الأنطولوجية والاتجاهية على ترابطات نسقية داخل تجربتنا"[27]، وهو ما يجعل من التصور الاستعاري تصور نسقي، وكذا اللغة التي تستعمل للتعبير عن هذا المظهر الذي يسند للتصور هي نفسها نسقية بالضرورة وليست من قبيل الصدفة، وعليه وبما أن العبارات الاستعارية في لغتنا ترتبط بالتصورات الاستعارية بكيفية نسقية فإننا سنستغل العبارات اللغوية الاستعارية لدراسة طبيعة التصورات الاستعارية قصد الوصول إلى فهم الطبيعة الاستعارية لسلوكاتنا[28]. ضف إلى ذلك فإن نسقية الاستعارة نفسها " التي تسمح لنا بالقبض على مظهر من مظاهر تصور ما عن طريق تصور آخر سَتُخفي لا محالة، مظاهر أخرى في هذا التصور، ويمكن لتصور استعاري معين، بإتاحته تبئير مظهر واحد لتصور معين، أن يمنعنا من تبئير مظاهر أخرى في هذا التصور"[29]، وإن الذي تم إخفاؤه وتبئيره من مظاهر لأي تصور يكون غير ملائم والاستعارة المرغوب توظيفها، إذ يتم التركيز على مظاهر معينة على حساب تلك المظاهر التي أهملت مع إدراكنا لها تماشيا

والسياق الكلامي الذي بصدده لتحقيق تصور ما عن طريق تصور آخر، فمثلا عند توبيخنا لتلميذ عجز عن حل واجبه، قد نهمل تعبه واجتهاده وهو الذي كرس وقته وفكره في سبيل ذلك فنركز على إظهار مظاهر العجز والإخفاق مع المعاتبة، ونهمل مظاهر الاجتهاد والمحاولة و"نجد فيما أسماه مايكل ريدي Machael Reddyاستعارة المجرى(Conduit metaphor) حالة أدق بصدد الطريقة التي يمكن لتصور معين أن يخفي بواسطتها مظهرا معينا من تجربتنا. لقد لاحظ ريدي أن الطريقة التي نتحدث بها عن اللغة تبينها الاستعارة المركبة التالية :

الأفكار (أو المعاني) أشياء
التعابير اللغوية أوعية
التواصل إرسال

فالمتكلم يضع أفكارا (أشياء) داخل كلمات (أوعية) ويرسلها (عبر مجرى) إلى مستمع يُخرج الأفكار / الأشياء من كلماتها / أوعيتها"[30]. كما أن كل بنية تصورية استعارية تعرف بكونها " الملكة التي تقوم عليها جميع الأحكام العقلية، وهي بذلك ملكة مهمتها التأليف ما بين مختلف أشكال التمثيل ما كان منها متصلا بالمدركات الحسية والصور والمفاهيم لتكوين المفاهيم"[31]، وتتسم -أي البنية التصورية – بكونها تمثل جزءًا معينا سواء أكان مستعملا أو مهملا، كما تفهم جزئيا عن طريق تصورات استعارية مختلفة، ذلك أنه وحسب جورج لايكوف (Georg Lakoff) ومارك جونسون(Mark Johnson) **تعتبر** "البنية الاستعارية للتصورات جزئية بالضرورة، ويعكسها معجم اللغة، بما في ذلك جزؤه المركب"[32]؛ فلا نتعجب إذن، إذا وجدنا في استعمالات البشر اليومية بنية تصورية استعارية تعبر عن جزء دون آخر، وهي في الوقت نفسه كلية استنادا إلى ما يعكسه المعجم اللغوي الذي تنتمي إليه .

كما تتحدد قيمة الاستعارة البنيوية في تحقق " المعايشة: حيث نبنى تصورنا عن مجال ما من خلال مجال آخر ، ثم نعيش فيه باستدعاء المقابل له من أنساقنا التصورية، فنحيا في الثاني، ونعني بحديثنا الأولى، هذه المعايشة لها قيمتها في تفاعلنا مع الاستعارة التي تحولت إلى حقيقة ...، إن الاستعارة البنوية استحضار لحدث سابق، والمعايشة فيه بكل حيثياته لفهم حدث آخر يشبهه في بعض جوانبه"[33].والأمثلة الشاهدة على ذلك كثيرة إن لم نقل لا تحصى كونها ترتبط بكل حيثيات حياتنا حتى تلك التفاصيل الدقيقة التي لا نولي لها أي اهتمام، إذ يتم استحضار تصور عن طريق آخر تقام بينهما مقابلة تجعل من الأول بمثابة الحقيقة بتحقق شرط المعايشة فيه.

وعلى هذا الأساس فالاستعارة البنيوية هي نتاج عمل ذهني يتم تعلمها نتيجة بنينة تصور ما عن طريق تصور آخر، يطلق على الأول المجال الهدف وعلى الثاني المجال المصدر، تحكمها ترابطات نسقية تجعل البنية التصورية الاستعارية تتسم بالجزئية، مع إتاحة إمكانية تبئير مظاهر معينة من تجربتنا حال إقامة تصور معين، فتتحدد قيمتها بذلك في تحقيق المعايشة مع الحدث أو التصور الناتج وكأنه حقيقة لا خيال.

ب- الاستعارة الاتجاهية (orientational metaphor):

يتأسس معنى الاستعارة هنا على مفهوم " لا يبنين فيه تصور ما عن طريق تصور آخر، ولكنه على ذلك ينظم نسقا كاملا من التصورات المتعالقة؛ إذ أن أغلبها يرتبط بالاتجاه الفضائي: عال – مستفل، داخل – خارج، أمام – وراء، فوق –تحت، عميق –سطحي، مركزي – هامشي، وتنبع هذه الاتجاهات الفضائية من كون أجسادنا لها هذا الشكل الذي هي عليه، وكونها تشتغل بهذا الشكل الذي تشتغل به في محيطنا الفيزيائي، وهذه الاستعارات الاتجاهية تعطي للتصورات توجها فضائيا"[34].تنتج هذه التصورات تلقائيا ثنائيات فضائية ،وتكون غير اعتباطية تحتل مكانها بما يمليه عليها الفضاء الذي تتموقع فيه، هذا الموقع يتحدد بدوره استنادا إلى تجاربنا الفيزيائية والثقافية المخزنة مسبقا في أذهاننا، وقد تختلف من ثقافة إلى أخرى، وهذا ما أشار إليه جورج لايكوف (Georg Lakoff) ومارك جونسون(Mark Johnson) بقولهما "إن استعارات اتجاهية كهذه ليست اعتباطية، وتوجد مرتكزاتها في تجربتنا الفيزيائية والثقافية. رغم أن التقابلات الثنائية بين فوق وتحت، أو بين داخل وخارج ...إلخ ، لها طبيعة فيزيائية فإن الاستعارات الاتجاهية التي تنبني عليها قد تختلف من ثقافة إلى أخرى. ففي بعض الثقافات مثلا، يوجد المستقبل أمامنا، في حين أنه في ثقافات أخرى يوجد خلفنا"[35]. مما يتيح لنا إمكانية تحصيل عدد لامتناه من التصورات التي قد تظهر بأنها متناقضة في البداية، ولكنها ليست كذلك بل تخضع لعامل التواضع وكلاهما صحيح في ثقافة كل فئة، ولتوضيح الاستعارة الاتجاهية نوظف مثال جورج لايكوف (Georg Lakoff) ومارك جونسون(Mark Johnson) السعادة فوق ، والشقاء تحت :

(1) إنني في قمة السعادة (2) لقد رفع من معنوياتي

(3) سقطت معنوياتي (4) التفكير فيها يرميني في الهاوية.

المرتكزات الفيزيائية لهذا التصور: ترتبط وضعية السقوط بالشقاء والانهيار، وترتبط وضعية الانتصاب بحالة عاطفية إيجابية[36].

إذن تتحدد تعليمية الاستعارة الاتجاهية في كونها تنظيم نسقي كامل للتصورات المترابطة والمتعالقة، وليست اعتباطية بل قائمة على أسس فضائية ثنائية أنتجتها تجاربنا الفيزيائية والثقافية في عالمنا كمثل (عال ومستفل ...)، والتي قد يختلف مدلولها من مجتمع إلى آخر بحسب الثقافة التي يقوم عليها .

ج- الاستعارة الأنطولوجية (ontological metaphor):

تسمى أيضا باستعارة الكيان والمادة، ومن أهم مرتكزات تعليمية هذه الاستعارة أن الاتجاه لا يكفي لفهم التصورات؛ فتجربتنا مع الأشياء الفيزيائية والمواد تعطينا أساسا إضافيا للفهم، وهو أساس قد يتعدى الاتجاه البسيط. إن فهم تجاربنا عن طريق الأشياء والمواد يسمح لنا باختيار عناصر تجربتنا ومعالجتها باعتبارها كيانات معزولة أو باعتبارها مواد من نوع واحد، وحين نتمكن من تعيين (identify) تجاربنا باعتبارها كيانات أو مواد فإنه يصبح بوسعنا الإحالة عليها ومقولتها (categorize) وتجميعها وتكميمها. وبهذا نعتبرها أشياء تنتمي إلى منطقنا، وعندما تكون الأشياء غير معزولة وغير محددة بصورة واضحة فإننا نُمَقْوِلُهَا مع ذلك بهذا الشكل[37].

وقد أخذ معنى الاستعارة الأنطولوجية من كلمة الأنطولوجيا التي يقصد بها " النظر في الوجود بإطلاق غير محدد أو معين، أي النظرة الشاملة العامة للوجود وللأشياء، والاستعارة الأنظولوجية بهذا تقوم باستعارة شيء عام مطلق مفهوم لدينا من خلال تجاربنا معه لفهم شيء لم نره من قبل ولكنه موجود بالفعل؛ فهذه الرؤية نوع من الميثافيزيقا، أي ما وراء الطبيعة، وهي عملية عقلية يتم فيها فهم غير المنظور بالشيء المنظور، فنحن نستعير الشيء المنظور (كل ما نراه في الطبيعة) لفهم ما لم نره من قبل من أحداث وأنشطة وأحاسيس وأفكار، ولكننا نرى هذه الأشياء من خلال آثارها علينا وتجاربنا معها، ولهذا تتحول هذه الأشياء غير المنظورة لذوات لها كيانات، ووجود مادي نتعامل معها على أنها مواد فيزيائية ،أي فهم المعنوي والتفاعل معه كأنه مادي[38].

والجدير بالذكر أيضا أن " هذا التعامل والتفاعل مع هذه الأشياء غير المنظورة أصبح وسيلة أساسية لإدراك أذهاننا للعالم من حولنا، وخلق تصور في داخلنا لها، فالأفكار تتكلم، والأحاسيس تبكي، لا لأنها تفعل هذا، ولكن لأننا رأينا من يتكلم أو يضحك، فينقل لنا عن طريق سلوكيات هذه الأشياء غير المنظورة التي تشبه سلوكيات هذا الشخص المعروفة، فنتخيل كيف يكون كلام الأفكار وبكاء الأحاسيس ؟، وبعد هذه الخطوة الأساسية في معالجة إدراك الأشياء غير المنظورة من خلال أشياء منظورة، تأتي الخطوة الجوهرية، وهي التعامل مع هذه الأشياء في ثوبها الجديد، أي بعد تجسيدها في شكل مادي ما، فتصبح هي إياه بكل خصائصه، كمن لبس ثوب القاضي لابد أن يسلك سلوكه بكل خصائصه، ومن لبس ثوب المحامي لابد أن يسلك سلوك المحامي بكل خصائصه... وهكذا نتعامل معها ونحيل عليها في استعاراتنا"[39].

وفي هذا الصدد تصلح استعارة :التضخم كيان وأمثلتها :

(1) إن التضخم يخفض مستوى عيشنا (2)إذا تفاقم التضخم لن نتمكن من العيش

(3) يجب محاربة التضخم (4) يضطرنا التضخم إلى اتخاذ بعض الإجراءات

في جميع هذه الحالات، يسمح لنا اعتبار التضخم كيانا بالإحالة عليه، وبتكميمه، وبأن نعين منه جزءا خاصا، وبأن نرى فيه جزءا سببا، وبأن نتصرف بحيطة إزاءه، وربما بأن نعتقد أننا نفهمه. فاستعارات أنطولوجية كهاته ضرورية في محاولتنا تقديم تحليل عقلاني لتجاربنا[40] فالاستعارة الأنطولوجية إذن تعتمد على العالم المحيط بنا بكل موجوداته، وتجاربنا معها لإدراك الأشياء غير المنظورة؛ إذ تستغل التصورات الموجودة في أذهاننا عن شيء معين نتيجة لتجاربنا الفيزيائية معه مثلا لبناء تصور آخر يجعل من هذا الشيء شيئا ماديا ونتعامل معه على هذا الأساس.

كما يرتبط مفهوم الاستعارة الأنطولوجية بعدة مفاهيم أخرى لعل أهمها مفهوم " التشخيص " حيث تكون فيه الاستعارات الأنطولوجية الأبده هي تلك الاستعارات التي تخصص فيها الشيء الفيزيائي كما لو كان شخصا، فتسمح لنا بفهم عدد كبير ومتنوع من التجارب المتعلقة بكيانات غير بشرية عن طريق الحوافز والخصائص والأنشطة البشرية؛ إلا أن التشخيص ليس عملية فريدة واحدة وعامة، فكل تشخيص يختلف عن

الآخر باعتبار المظاهر التي ينتقيها الناس فالتشخيص، إذن، مقولة عامة تغطي عددا كبيرا ومتنوعا من الاستعارات حيث تنتقي كل منها مظاهر مختلفة لشخص ما أو طرقا مختلفة للنظر إليه، وما تشترك فيه كل هذه الاستعارات أنها تمثل ما صدقات (extensions) لاستعارات أنطولوجية، وأنها تسمح لنا بأن نعطي معنى للظواهر في هذا العالم عن طريق ما هو بشري، فنفهمها اعتمادا على محفزاتنا وأهدافنا وأنشطتنا وخصائصنا[41].

على أنه لابد من التنبيه إلى ضرورة التمييز بين مفهوم التشخيص في كل من الاستعارة والكناية هذه الأخيرة التي نستعمل فيها "كيانا معينا للإحالة على كيان آخر"، وبهذا فالاستعارة والكناية تشكلان صنفين متباينين من حيث السيرورة [التي ننتج كلا منهما]فالاستعارة، أساسا، وسيلة لتصور شيء ما من خلال شيء آخر، ووظيفتها الأولى الفهم، أما الكناية فوظيفتها إحالية قبل كل شيء، إلا أنها ليست أداة إحالية فحسب، بل وظيفتها تيسير الفهم أيضا وهي تخدم، ولو في جزء منها نفس الحاجات التي تخدمها الاستعارة بنفس الطريقة تقريبا، ولكن تسمح لنا بالتركيز بدقة على بعض مظاهر ما نحيل عليه وهي كالاستعارة، ليست مجرد أداة شعرية أو بلاغية، وليست أيضا ظاهرة لغوية صرف، إن التصورات الكنائية (مثل الجزء للكل) تشكل جزءا من الطريقة العادية التي نمارس بها تفكيرنا وسلوكنا وكلامنا. فالكنايات، شأنها شأن الاستعارات، ليست حالات عشوائية أو اعتباطية، ويجب ألا نتعامل معها باعتبارها أمثلة فريدة، فالتصورات الكنائية هي بدورها نسقية[42]. فالفرق الأساس بينها والذي يهمنا يكمن في كون التشخيص ضمن نظرية الاستعارة هو إسناد خصائص بشرية إلى أشياء غير بشرية، في حين أنه في الكناية هو الإحالة على كائنات بشرية واقعية. لتتحدد قيمة الاستعارة الانطولوجية بذلك من خلال ثلاثة مظاهر ألا وهي: التجسيد، والفهم والخيال: أي تجسيدها الواقع غير المنظور من خلال خصائص واقع منظور، والتفاعل معه على أنه كيان موجود، فيبدو متجسدا ليسهل التعامل والتفاعل معه، واستخدام الواقع الملموس في إدراك وفهم الواقع غير الملموس، فيفتح ذلك بابا أكبر للفهم والإدراك بتوظيف ما حولنا في فهم وإدراك مالا نرى .كما يضيع الخيال في هذه العملية، لماذا؟ لأن التصور الجديد قد يرسخ في الذهن، حتى يبدو وكأنه الواقع، فَيُنسى الواقعَ الخيالَ الذي قامت عليه هذه الاستعارة[43].

وعليه تتحدد تعليمية هذا النوع من الاستعارة انطلاقا من كونها إدراكاً عقلياً قائماً على إقامة التصورات الاستعارية استنادا على تجاربنا الحياتية مع الأشياء والمواد، وتكمن قيمتها في التجسيد المادي للشيء المحسوس مع ضرورة حصول الفهم، مع إمكانية ضياع الخيال الذي قد يصبح حقيقة في التصور الجديد .

الخاتمة والنتائج:

أسهمت الثورة المعرفية الكبيرة التي شهدتها ساحة الدراسات اللسانية المعاصرة في الإجابة على كثير من إشكالات تعليمية اللغات بخاصة تلك المتعلقة بتعليمية الاستعارة؛ إذ استغلت اللسانيات العرفانية ناتجها وأسهمت بتظافر جهود علمائها على اختلاف تخصصاتهم في إثراء البحث اللساني بتقديم جملة من البدائل الفعالة

لدراسة آليات إنتاج الاستعارة وطرائق إدراكها، مما يسهل سبل تعلمها وتعليمها، كما وسمتها بالاستعارة التصورية ويمكن أن نلخص نتائج الجهود المبذولة في:

- التخلي عن التصور الموضوعي للاستعارة وتعويضه بالتصور التجريبي، الذي يصر على فاعلية التجربة الإنسانية وأهميتها في تنظيم العالم ومقولته، لا وبل يقر بجسدية الذهن، واستعاريته ومجازيته التي تقوم على التخيل والتصور، وعلى تجاوز الاستعارة لمبدأ المشابهة الذي جعلها خاصية لغوية تنصب على الألفاظ ،ويمكن الاستغناء عنها إلى كونها خاصية ذهنية تنصب على التفكير ولا يمكن الاستغناء عنها في كل تفاصيل حياتنا، ويشترك فيها جميع البشر بلا استثناء، كما أنها قد تختلف بحسب الثقافة من فئة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر.

- أصبحت الاستعارة التصورية تقوم على مبدأ الربط بين المعارف لإنتاج تصور جديد فيكون الربط بين المجالين المصدر والهدف؛ إذ يتم حينها اعتماد آلية الإسقاط المفهومي بين المجالين، فتُسقط المعارف المتعلقة بالمجال الأول على المعارف المتعلقة بالمجال الثاني، مع مراعاة سلميات الإرث والمحافظة على الأبعاد الطوبولوجية، وكذا خاصيات الثبات والتعدد والتزامن التي يتسم بها الإسقاط. وهو الأمر الذي يعبر عن نسقية البنية الاستعارية للتصورات التي هي ليست من قبيل الصدفة، وإن كانت جزئية بالضرورة ويجسدها المعجم اللغوي.

- إن الاستعارة التصورية متعددة الأنواع فمنها البنيوية التي تعبر عن عمل ذهني يتم فيه بنينة تصور ما بواسطة تصور آخر استعاريا، ومنها الاتجاهية التي ترتبط بالاتجاه الفضائي وتموقع الجسد داخل الفضاء وتجربته الفيزيائية والثقافية فيه، وأخيرا الطوبولوجية التي تعبر عن النظرة العامة للوجود والأشياء باعتبارها كيانات أو مواد وتجربتنا معها .

- إن الاستعارة التصورية بكل أنواعها تهدف إلى تحقيق تواصل إنساني ناجح وفعال يضمن حصول الفهم، وكذا تحقق متعددة كقيم المعايشة والتشخيص... في تكامل وانسجام فيما بينها ودون تعارض .

- أضحى تعلم وتعليم الاستعارة التصورية وفق التصور التجريبي للاستعارة ومع الآليات والمقولات العرفانية أيسر وأسهل مما كان عليه مع التصور الموضوعي الكلاسيكي.

هوامش:

[1] - محي الدين محسب، الإدراكيات أبعادا إبستمولوجية، وجهات تطبيقية، (2017)، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، ص: 150.

[2] - الغالي أحرشاو، "العلوم المعرفية وتكنولوجية المعرفة"، "قسم علم النفس"، (دت)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فأس المغرب، ص1.

[3] - جورج لايكوف، المقدمة، نقلا عن الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، (2010)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، ص 15.

[4] - بتصرف، عبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني، نظرية رونالد لانقاكر ronald langaker، كلية الآداب والفنون الإنسانية بمنوبة، (2010)، مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، ص31، 32.

[5] - بتصرف، نور الدين دجمان، "ملامح لسانيات الإدراك، في التراث العربي : الصورة الإدراكية للألفاظ من خلال كتاب "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز "، (2014)، "مجلة اللغة والاتصال"، جامعة وهران، الجزائر، العدد 15 .ص: 9.

[6] - على أن هذا المصطلح ظهر حوالي 1946م، حين صار موضوعا مستقلا في معهد تعليم اللغة الإنجليزية بجامعة ميتشجان، وقد كان هذا المعهد متخصصا في تعليم اللغة الإنجليزية لغة "أجنبية" تحت إشراف العالمين البارزين تشارلز فريز Charles Fries وروبرت لادو Robert Lado ،وقد شرع هذا المعهد يصدر مجلته المشهورة "تتعلم اللغة– مجلة علم اللغة التطبيقي " Journal Of Applied Linguistics Language Learning ;"،ثم أسست مدرسة علم اللغة التطبيقي " School Of Applied linguistics" في جامعة إندبره 1958، وهي من أشهر الجامعات تخصصا في هذا المجال،ولها مقرر خاص يحمل اسم الجامعة في هذا العلم .وقد انتشر في كثير من جامعات العالم لحاجة الناس إليه، وتأسس " الإتحاد الدولي لعلم اللغة التطبيقي ALLA سنة 1964م، وينتسب إليه أكثر من خمسة وعشرين جمعية وطنية لعلم اللغة التطبيقي في أنحاء العالم، وينظم هذا الإتحاد مؤتمرا عالميا كل ثلاث سنوات تعرض فيه ما يجد من بحوث في مجال هذا العلم ."ينظر عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، (1998)، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية مصر، ص: 9.

[7] - صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، (دت)، دار هومة، الجزائر، ص: 11.

[8] - عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، (1998)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، ص: 2 .

[9] - ينظر ،صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، ص: 12.

[10] - صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، ص 14.

[11] - أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، (2009)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، ص1.

[12] - بتصرف، جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، (2009)، دار توبقال، ط 2، ص21.

[13] - جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، تر عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم، (2005)، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، ص : 8.

[14] - بتصرف، جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ص: 7، 8 ، 9 .

[15] - بتصرف، جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ص: 7، 8 ، 9 ، 10 .

[16] - بتصرف، الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص : 141.

[17] - سندس كرونة، "إشكالات التأويل الدلالي في بعض الأبنية التركيبية العربية (مقاربة عرفانية)"، (2019)، "مجلة اللسانيات العربية"، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية ، السعودية، العدد:9 ، ص:124.

[18] - المرجع نفسه، ص125.

[19] - بتصرف، جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ص : 11.12 .

[20] - ينظر، الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص : 142، 143.
[21] - ينظر، المرجع نفسه، ص : 143 ، 144.
[22] - المرجع نفسه ، ص: 145.
[23] - جورج لايكوف ، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل ، ص :19.
[24] - نور الدين دحمان، "ملامح لسانيات الإدراك في التراث العربي: الصورة الإدراكية للألفاظ من خلال كتاب " الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، ص : 134. ويتوافق مضمون هذا القول - كما أشار إلى ذلك نور الدين دحمان في مقاله السالف ذكره ،ص 36.- في رصده للعلاقة بين البنية اللسانية والبنية الذهنية الإدراكية مع نص يحي بن حمزة العلوي: " الحقيقة في وضع الألفاظ إنما هو الدلالة على المعاني الذهنية دون الموجودات الخارجية، والبرهان على ما قلناه هو أننا إذا رأينا شبحا من بعيد وظننناه حجرا سميناه بهذا الاسم فإذا دنونا منه وظننا كونه شجرا فإننا نسميه بذلك، فإذا ازداد التحقق بكونه طائرا سميناه بذلك ، فإذا حصل التحقق بكونه رجلا سميناه به، فلا تزال الألقاب تختلف عليه باعتبار ما يفهم من الصور الذهنية فدل ذلك على أن إطلاق الألفاظ إنما يكون باعتبار ما يحصل في الذهن، ولهذا فإنه يختلف باختلافه .
[25] - ينظر، محي الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ا إبستمولوجية، وجهات تطبيقية، ص 14،
[26] - جورج لايكوف، ومارك جونسون ، الاستعارات التي نحيا بها، ص : 33.
[27] - المرجع نفسه، ص : 81.
[28] - بتصرف، المرجع نفسه، 25.
[29] - المرجع نفسه ،.30
[30] - المرجع نفسه، ص: 30.
[31] - الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص : 162.
[32] - جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص : 73.
[33] - عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، ص 44.
[34] - ينظر ، جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص33.
[35] - المرجع نفسه، ص: 33.
[36] - ينظر، جورج لايكوف وجونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص : 34.
[37] - بتصرف، المرجع نفسه، ص : 45.
[38] - بتصرف، عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، ص 45.
[39] - المرجع نفسه، ص 45. .
[40] - ينظر، جورج لايكوف و مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص : 46.
[41] - ينظر، المرجع نفسه ، ص53، 54 .
[42] - بتصرف، المرجع نفسه ، ص : 56، 57.
[43] - عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية ، ص47.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الكتب:

1-أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، (2009)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2.

2-الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، (2010)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1.

3-جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، (2009)، دار توبقال، ط 2.

4-جورج لايكوف، المقدمة، نقلا عن الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، (2010)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1.

5-جورج لايكوف، ومارك جونسون، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، تر عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم، (2005)، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1.

6-صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، (دت)، دار هومة، الجزائر.

7-عبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني، نظرية رونالد لانقاكر ronald langaker ، كلية الآداب والفنون الإنسانية بمنوبة، (2010)، مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1.

8-عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، (1998)، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية مصر.

9-محي الدين محسب، الإدراكيات أبعادا إبستمولوجية ،وجهات تطبيقية، (2017)، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1.

10-عطية سليمان أحمد ، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية (دت).

2 – المجلات:

1-سندس كرونة، "إشكالات التأويل الدلالي في بعض الأبنية التركيبية العربية (مقاربة عرفانية)"، (2019)، م"جلة اللسانيات العربية"، مركز الملك عبد الله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية ، السعودية، العدد:9 .

2-نور الدين دحمان، "ملامح لسانيات الإدراك، في التراث العربي : الصورة الإدراكية للألفاظ من خلال كتاب "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز "، (2014)، "مجلة اللغة والاتصال "، جامعة وهران، الجزائر، العدد 15.

3-عبد الكريم جيدور، "اللسانيات العرفانية ومشكلات تعلم اللغات واكتسابها" ،(2017)،"دراسات لغوية"، العدد: 5.

4-نور الدين دحمان، "ملامح لسانيات الإدراك في التراث العربي: الصورة الإدراكية للألفاظ من خلال كتاب " الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"(2014)، "مجلة اللغة والاتصال"، جامعة وهران، الجزائر، العدد 15.

5-الغالي أحرشاو،"العلوم المعرفية وتكنولوجية المعرفة"، قسم علم النفس، (دت)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فأس المغرب.